الفصل الأول

الجزيرة العربية وتاريخها القديم

صفة جزيرة العرب [١] :

تشغل الجزيرة العربية الجنوب الغربى لآسيا، وقد سماها أهلها جزيرة؛ لأن الماء يحيط بها من ثلاث جهات: الجهة الجنوبية، والجهة الغربية، والجهة الشرقية، فهى شبه جزيرة لا يوجد فى الكرة الأرضية شبه جزيرة تماثلها فى المساحة.

ويرى علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا) أنها كانت متصلة بأفريقيا فى الزمن القديم ثم فصلها منخفض البحر الأحمر الذى يمتد فى غربها، كما يرون أنه كان يغطى جزءاً منها مروج خضراء فى العصر الجليدى، وكانت تجرى بها بعض الأنهار، ولا يزال المار بها يشهد عليها أودية جافة عميقة.

ويطل عليها فى الجنوب المحيط الهندى، وفى الشرق بحر عمان وخليج العرب، ويحدها من الشمال الغربى فلسطين وسوريا، ومن الشمال الشرقى العراق.

وقسمها جغرافيو اليونان والرومان ثلاثة أقسام :

الأول : العربية الصحراوية، ولم يحددوا معالمها، ولكن يفهم من كلامهم أنها بادية الشام، وكانت تقع فى شمالها مملكة تدمر التى حكمتها أسرة الزباء المشهورة.

---

(1) انظر : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام – د / جواد على ١ / ١٦٣ – ١٨٥ ، وتاريخ الأدب العربى: العصر الجاهلى – د / شوقى ضيف ص ١٧ – ٢١ ، ودراسات فى تاريخ العرب – د / مصطفى أبو ضيف أحمد ص ١١ – ١٥ ، وحضارة العرب – د / جوستاف لوبون – ترجمة / عادل زعيتر ص ٤٧ – ٥٧ ، وتاريخ العرب قبل الإسلام – د / عبد الحميد حسين حمودة ص ٢٣ – ٢٩ ، والعرب قبل الإسلام لجرجى زيدان ص ٣٧ ، ٣٨ ، وفى تاريخ العرب قبل الإسلام – د / أحمد عبد الحميد الشامى ص ٧ – ٢١ .

الثانى : العربية الصخرية أو الحجرية ، ويعنون بها شبه جزيرة سيناء، والمرتفعات الجبلية المتصلة بها فى شمالى الحجاز، وجنوبى البحر الميت، وهذا القسم هو الذى أقام به النبط مملكتهم، واتخذوا مدينة سلع (بطرا) حاضرة لهم، وامتدت هذه المملكة فى عهد الحارث الرابع أوائل القرن الأول للميلاد إلى دمشق، ولكن استولى عليها الرومان سنة ١٠٦ م.

الثالث : العربية السعيدة، ويعنون بها وسط الجزيرة وجنوبيها، ومن المحتمل أن يكون هذا القسم قد دان بالولاء للدول الجنوبية، مثل: معين وسبأ.

أما الجغرافيون العرب فيقسمونها خمسة أقسام :

الأول : تِهامة : وهى المنطقة الساحلية الضيقة المطلة على البحر الأحمر، وتسمى فى الجنوب باسم تهامة اليمن، وكان العرب القدماء يسمونها الغَوْر؛ لانخفاض أرضها، ويحجزها عن داخل شبه الجزيرة سلسلة جبال السَّراة أعظم جبال العرب.

وقد سميت تهامة بذلك الاسم من التَّهَم، يقول ياقوت الحموى (المتوفى ٦٢٦ هـ): " وسميت تهامة لشدة حرها، وركود ريحها وهو من التهم، وهو شدة الحر، وركود الريح، يقال تَهِم الحر: إذا اشتد، ويقال: سميت بذلك لتغير هوائها، يقال: تهم الدهن إذا تغير ريحه.

وحكى الزيادى عن الأصمعى قال: التهمة الأرض المنصوبة إلى البحر وكأنه مصدر من تهامة، وقال المبرد: إذا نسبوا إلى تهامة قالوا: رجل تَهَامٍ، بفتح التاء وإسقاط ياء النسبة، كما قالوا: رجل يمانٍ وشآم إذا نسبوا إلى اليمن والشام.

وقال إسماعيل بن حماد: النسبة إلى تهامة تِهامىّ وتَهامٍ، إذا فتحت التاء لم تشدد الياء، كما قالوا: رجل يمانٍ وشآمٍ ، قال ابن أحمر: [الطويل] :

وأكبادهم كابنى سُبات تفرقوا سُبًّا ثُمَّ كانوا منجدا وتهاميا

وألقى التَّهامى منهما بلطاته وأخلط هذا لا أيم مكانيا

وقال سيبويه: منهم من يقول: تهامىّ ويمانىّ وشامى بالفتح مع التشديد، وقال زهير: [الطويل] :

يَحُشّونَها بالَمشرَفيَّة وَالقَنا وَفتيان صدق لا ضعافٌ وَلا نُكلُ

تَهامونَ نَجديّونَ كَيداً وَنُجْعَةً لكُلِّ أُناس من وَقائعهم سَجْلُ

وأتهم الرجل إذا صار إلى تهامة " [1].

ويقول الفيومى (المتوفى ٧٧٠ هـ): " تَهِمَ اللبن واللحم تَهَما من باب تعِب: تغير وأنتن، وتهِم الحر: اشتد مع ركود الريح ، ويقال إن تِهامة مشتقة من الأول ؛ لأنها انخفضت عن نجد فتغيرت ريحها ، ويقال من المعنى الثانى ؛ لشدة حرها " [2].

ويتألف إقليم تِهامة من عدة تهائم، منها ما يدخل فى اليمن، ومنها ما يدخل فى الحجاز، ومن مدنه الساحلية الحُدَيِّدَة وينبع وجدة.

الثانى : الحجاز : وهو " جبل ممتد حال بين الغور غور تهامة ونجد، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما .... وقال الأصمعى فى

---

(1) معجم البلدان (تهامة) ٢ / ٤٦٩ .

(2) المصباح المنير (ت هـ م) ١ / ٧٧ .

كتاب (جزيرة العرب): الحجاز اثنتا عشرة دارًا: المدينة، وخيبر، وفدك، وذو المروة، ودار بلِيٍّ، ودار أشجع، ودار مُزينة، ودار جهينة، ونفر من هوازن، وجُلّ سليم، وجُل هلال، وظهر حرّة ليلى، ومما يلى الشام شَغْب وبَدَا، وقال الأصمعى فى موضع آخر مِن كتابه: الحجاز من تخوم صنعاء من العبلاء وتبالة إلى تخوم الشام؛ وإنما سمى حجازًا؛ لأنه حجز بين تهامة ونجد؛ فمكة تهامية، والمدينة حجازية، والطائف حجازية " [١].

الثالث : نجد : هى الهضبة التى تكون قلب الجزيرة، وأوسع أقاليمها، وتنحدر إلى الشرق حتى تتصل بأرض العروض، ويسمى العرب جزأها المرتفع مما يلى الحجاز العالية، أما جزؤها المنخفض مما يلى العراق فيسمونه السافلة. وبنجد جبلان مشهوران صعبا الارتقاء هما جبلا أجأ وسلمى المنسوبان إلى طيئ، وبأدنى جبل أجأ مدينة حائل، وعلى سفح جبل سلمى بليدة فيد الواقعة فى طريق الحاج العراقى [٢].

الرابع : العَروض : " وتشمل بلاد اليمامة والبحرين ومما والاهما " [٣]، وكانت عند ظهور الإسلام عامرة بالقرى؛ مثل : حِجْر، وكانت حاضرتها، ومثل سَدُوس ومنفوحة وبها قبر الأعشى، ويقال إنها كانت موطن قبيلتى طسم وجديس البائدتين، وقد عثر فيها على نقوش سبئية متأخرة.

---

(1) معجم البلدان لياقوت الحموى (الحجاز) ٣ / ١١٨ .

(2) انظر : دراسات فى تاريخ العرب د/ مصطفى أبو ضيف ص ١٤ ، ١٥ ، وتاريخ الأدب العربى : العصر الجاهلى ص ١٩ .

(3) معجم البلدان (العروض) ٦ / ٣٢٠ .

وتمتد البحرين من البصرة إلى عمان، وبها كانت تنـــزل قبيلة عبد القيس فى الجاهلية، وهى تشمل الآن الكويت والأحساء وجزر البحرين وقطر، ومـــن مدنه القديمة هجر، والقطيف، وكانت تسمى أيضًا الخطّ، وإليهـــا تنـــسب الرماح الخطية. وفى جنوبى البحرين عمان، ومن مدنها صُحار ودبا، وكـــان بها سوق مشهورة فى الجاهلية [١].

الخامس : اليمن : ويطلق على كل الجنوب، فيشمل حـــضرموت، ومهـــرة، والشِّحْر، وقد يطلق على الزاوية الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربيـــة، وهو الإطلاق المشهور الآن. وتتألف اليمن من أقسام طبيعية ثلاثة: ســـاحل ضيق خصب هو تهامة اليمن، وجبال موازية للساحل هى امتـــداد سلـــسلة جبال السراة ثم هضبة تفضى إلى نجد، ورمال الرَّبْع الخالى، وبها كـــثير مـــن الأودية والسهول والثمار والزروع بسبب أمطار الرياح الموسمية الغزيـــرة، وقد جاء ذكرها فى القرآن الكريم بأنهـــا: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِـــمَالٍ﴾ [سبأ:١٥].

ويسمى قسمها الشمالى المجاور للحجاز باسم عسير، وكانت تنـــزله قبيلـــة بجيلة فى الجاهلية، ومن أشهر مدن اليمن زَبيد وظِفار وصنعاء وعدن ونجران، وتمتد شرقى اليمن حضرموت على ساحل بحر العـــرب، فـــإقليم مهـــرة، والشِّحْر، ومعناه فى اللغة الجنوبية: الساحل [٢].

---

(1) انظر : تاريخ الأدب العربى : العصر الجاهلى ص ١٩ ، ٢٠ .

(2) انظر : تاريخ الأدب العربى : العصر الجاهلى ص ٢٠ ، ودراسات فى تاريخ العرب ص ١٤ .

" قال الشرقى : إنما سميت اليمن لتيامنهم إليها، قال ابن عباس: تفرقت العرب فمن تيامن منهم سميت اليمن، ويقال: إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم فالتأمت بنو يمن إلى اليمن، وهى أيمن الأرض فسميت بذلك ... والنسبة إليهم يمنى ويمانٍ مخففة، والألف عوض من ياء النسبة فلا تجتمعان، وقال سيبويه: وبعضهم يقول: يمانىّ بتشديد الياء قال أمية بن خلف الهذلى: [الوافر] :

يمانيا يَظَلُّ يَشُدُّ كيراً وَيَنفُخُ دائباً لَهَبَ الشواظ

وقوم يمانية ويمانون، مثل ثمانية وثمانون، وامرأة يمانية أيضًا " [١].

الساميون :

تطلق كلمة الساميين على مجموعة من " الشعوب الآرامية والفينيقية والعبرية والعربية واليمنية والبابلية – الآشورية، وما انحدر من هذه الشعوب " [٢].

وأول من أطلق هذا الاسم على هذه الشعوب هو المستشرق الألمانى شلوتسر (Schlozer) فى أواخر القرن الثامن عشر (١٧٩٨م) وقد اقتبسه مما ورد فى سفر التكوين[٣] بصدد أولاد نوح الثلاثة (سام وحام ويافث) والشعوب التى انحدرت من كل ولد منهم؛ وهى تسمية اصطلاحية. بيد أن تقسيم الأمم فى سفر التكوين اعتمد على الروابط السياسية والثقافية والجغرافية أكثر من اعتماده على صلات

---

(1) معجم البلدان (اليمن) ٨ / ٥٠٩ .

(2) فقه اللغة – د / على عبد الواحد وافى ص ٦ .

(3) التوراة – سفر التكوين – الإصحاح العاشر .

القرابة والروابط الشعبية، ولذلك جعل العيلاميين واللوديين من أبناء سام؛ لأنهما كانا من رعايا الدولة الآشورية على الرغم من أنه لا توجد بين هذين الشعبين قرابة من ناحية كما أنه ليس بينهما وبين الآشوريين قرابة من ناحية أخرى، كما جعل الفينيقيين من الشعوب الحامية؛ لتعدد الصلات السياسية والثقافية التى كانت تربطهم بالشعوب الحامية المصرية والبربرية، على الرغم من أنهم اقرب الشعوب إلى العبريين [١].

وقد قسم علماء اللغات الساميات جغرافيا على قسمين[٢]: شمالى وجنوبى، وقسموا الشمال إلى شعبتين: شرقية وغربية، أما الشرقية فتشتمل على اللغة الأكادية بفرعيها البابلية والآشورية؛ وهذه اللغة اسم جامع أطلقه البابليون (فى جنوبى أرض الرافدين) على لغتهم البابلية، وعلى لغة إخوانهم الآشوريين (فى شمالى أرض الرافدين)، وتطلق فى اصطلاح العلماء المحدثين على مختلف اللهجات البابلية والآشورية. وقد وصلت إلينا فى نقوش مختلفة مكتوبة بالخط المسمارى على الطين المجفف؛ ومن أهم هذه النقوش النقش الذى دوّن به قانون حمورابى؛ وهو من أقدم

---

(1) انظر : فقه اللغة – د / على عبد الواحد وافى ٦ / ٧، وفصول فى فقه العربية – د / رمضان عبد التواب ص ٢٥، وعلم اللغة العربية – د / محمود فهمى حجازى ص ١٣٣ .

(2) انظر : تاريخ اللغات السامية – د / إسرائيل ولفنسون ١ – ٢١ ، ومدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن لموسكاتى وشبتلر ، وأولندورف وزودن – ترجمة د / مهدى المخزومى ، و د / عبد الجبار المطلبى ص ١٤ – ١٧ ، وفقه اللغة – د / على عبد الواحد وافى ٦ – ١٠٧ ، واللهجات العربية الحديثة فى اليمن – د / مراد كامل ص ٧ – ٣٣ ، والمفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ١ / ٢٢٢ – ٢٢٩ ، ٢ / ٧٣ – ١٥٥، ودراسات فى فقه اللغة – د / صبحى الصالح ص ٤٧ – ٥٨ ، وفصول فى فقه العربية ص ٢٥ – ٣٦ ، وعلم اللغة العربية – د / محمود فهمى حجازى ص ١٥١ – ١٩٢ ، وتصدير المعجم الحديث عبرى عربى – د / ربحى كمال ص ٥ – ١٠ ، وفى التطور اللغوى – د/ عبد الصبور شاهين ص ٤٤ – ٤٧ .

الشرائع الأرضية. و (أكاد) مدينة قديمة فى أرض شنعار، وفى مملكة بابل جعلها سرجون الأول عاصمة دولته حوالى عام ٢٤٠٠ ق . م، وهى أول دولة سامية شهدتها أرض الرافدين. وقد استعار الأكاديون الرموز المسمارية من السومريين؛ ليتمكنوا من تدوين لغتهم بهذا الخط المسمارى المعروف عند الفرنجة باسم (الرسم ذى الزوايا) وعند العبريين باسم (رسم الأوتاد) لأن أجزاءه تشبه المسامير والأوتاد.

وقد ماتت هذه اللغة منذ قديم الزمان ، ولم يبق لنا منها إلا النقوش التى عرفنا منها تاريخ هذا الشعب الأكادى الذى كان على جانب كبير من الحضارة والمدنية.

وأما الغربية فتشتمل على اللغتين الكنعانية والآرامية :

أولاً : الكنعانية : وتنقسم إلى كنعانية شمالية وكنعانية جنوبية.

أ - الكنعانية الشمالية : وتمثلها اللغة الأوجاريتية؛ وهى أقدم لغات المجموعة الكنعانية وأشهرها، وقد اكتشفت نقوشها فى عام ١٩٢٩م فى (راس شمرا) على الساحل السورى للبحر المتوسط، ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد أخذ العالم الكتابة الأبجدية عن هذه اللغة الأوجاريتية.

ب - الكنعانية الجنوبية : وتشتمل على :

١ - **اللغة العبرية** : وهى أهم اللهجات الكنعانية على الإطلاق، وقد وصلت إلينا عن طريق العهد القديم الذى يشمل التوراة؛ وهى أسفار موسى الخمسة (التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد،

والتثنية) وكتب الأنبياء، والمكتوبات، كمزامير داود، وأمثال سليمان، وغيرها.

ووصلت كذلك عن طريق بعض النقوش واللوحات الصخرية، وأحيانًا عن طريق تلاوة اليهود للتوراة، وبعض الأوراد.

والمقصود بالعبرية هنا عبرية العهد القديم، وهى تختلف اختلافًا كبيرًا عن العبرية الحديثة التى أصبحت لغة الآداب اليهودية المستخدمة.

٢ - **خطابات تل العمارنة** : وهى خطابات أرسل بها أمراء سوريا وفلسطين إلى فراعنة مصر فى ذاك الوقت باللغة الآشورية وبها تعليقات بالكنعانية، وهذه الخطابات ترجع إلى حوالى ١٤٢٥ - ١٣٥٠ ق . م .

٣ - **اللغة المؤابية** : وهى لغة المؤابيين الذين كانوا من نسل لوط ابن أخى إبراهيم الخليل (عليهما السلام)، وقد عثر على نقش يمثل هذه اللغة هو نقش (ميشع) ملك مؤاب، وهو عبارة عن نُصُب عثر عليه فى عام ١٨٦٨م فى (ديبان) بأرض مؤاب القديمة، ويحكى هذا النقش حروب الملك (ميشع) مع ملك إسرائيل المسمى (عُمْرى) كما يعدد مآثره على مملكته، ويرجع تاريخ هذا النقش باتفاق معظم الآراء إلى سنة ٨٤٢ ق . م.

٤ - **اللغة الفينيقية** : وصلت إلينا فى عدة نقوش، من بينها نقوش ملوك بيبلوس (Byblos) جبيل الحالية؛ مثل نقش: شافَطْ

بَعْل (من القرن الثالث عشر قبل الميلاد)، وأخيرام (حوالى ١١٠٠ ق . م) وأخيميلك (حوالى ١٠٠٠ ق . م)، وأهم نقش دوّن بهذه اللغة هو نقش الملك (كِلَمو) (حوالى ٩٠٠ ق.م) أحد أمراء (سَمْأَلْ)، وقد اكتشف فى (تل زِنْجِيرلى) بسوريا.

وقد رحلت الفينيقية مع أصحابها خارج الوطن الأصلى حتى استقرت فى حوض البحر المتوسط، بيد أنها لم تربح أرضًا ثابتة فى الواقع إلا فى شمالى أفريقية فى نواحى (قرطاجنة)، وتسمى هناك (اللغة البونية) التى قدر لها أن تبقى حتى القرن الخامس بعد الميلاد؛ فعاشت عمرًا أطول من عمر أمها الفينيقية الأصلية.

ثانيًا : اللغة الآرامية :

كان مهدها الأصلى شبه جزيرة العرب، ثم نزحت إلى بلاد الشام، وانقسمت قسمين كبيرين؛ فذهب قسم إلى الغرب من بلاد الشام، وهنا نشأت الآرامية الغربية، التى تفرع منها لغة اليهود المتأخرين، ولهجة تدمر، ولغة السامريين؛ وهم طائفة من اليهود، لا يؤمنون إلا بالتوراة فقط، وهى أسفار موسى الخمسة، وقد ترجموها إلى لغتهم، غير أنها ترجمة رديئة تتمسك بحرفية النص العبرى ولا تخجل من حشو النص بكلمات عبرية غريبة جدًّا عن الآرامية.

ونقوش صحراء سيناء، التى ترجع إلى الفترة من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادى. ولغة النبط، وهى لهجة آرامية كتب بها النبط نقوشهم حتى أواخر القرن الثالث الميلادى، والنبط شعب عربى عاش فى أقصى شمالى الجزيرة العربية، وجنوبى بادية الشام.

وذهب القسم الآخر إلى الشرق فى بلاد العراق، ونشأ هناك ما يسمى بالآرامية الشرقية التى تفرع منها لغة اليهود فى بابل، وهى ما شرحه يهود مدرسة بابل لكتاب المشناة ويسمى هذا الشرح الجمارا، ويتألف منه مع المشناة ما يعرف بتلمود بابل.

واللهجة المنداعية؛ وهى لهجة طائفة (العارفين) المسيحية، التى لا تزال توجد فى جنوبى العراق إلى اليوم؛ وهى لهجة آرامية خالصة، لم تتصل كلماتها وتراكيبها بالعبرية أو بغيرها من اللغات الأخرى.

واللغة السريانية، وهى أهم لهجات الآرامية، وقد سمى الآراميون أنفسهم بالسريان بعد اعتناقهم الدين المسيحى؛ لأن الاسم الشعبى القديم صار عيبًا يدل على الكفر.

وتنقسم السريانية تبعًا لانقسام الكنيسة المسيحية، إلى سريانية شرقية، وهى سريانية المسيحيين التابعين لتعاليم نسطوريوس، ويسمون بالنسطوريين، وسريانية غربية، وهى سريانية المسيحيين التابعين لتعاليم يعقوب البردعى، ويسمون باليعاقبة.

وأما الفرع الجنوبى من اللغات السامية فيشمل :

١ – العربية الشمالية : ولا نكاد نعرف شيئًا عن المراحل التى اجتازتها فى عصورها الأولى؛ وهى قسمان: العربية البائدة التى لا يتجاوز أقدم ما وصلنا من نقوشها القرن الأول قبل الميلاد، والعربية الباقية التى لا تجاوز آثارها القرن الخامس بعد الميلاد. والمراد من العربية البائدة عربية النقوش التى بادت لهجاتها قبل الإسلام، وهى التى ظهر على آثارها الطابع الآرامى؛ لبعدها عن المراكز العربية الأصلية بنجد والحجاز.

وأهم اللهجات العربية البائدة ثلاث: الثمودية، والصفوية، واللحيانية.

فالثمودية : هى اللهجة المنسوبة إلى قبائل ثمود التى جاء ذكرها، وذكر مساكنها فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وتاريخ معظم النقوش المدونة بهذه اللهجة يعود إلى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد، وقد دونت بخط جميل أنيق مشتق من (المُسند) يتجه من أعلى إلى أسفل، ولا يثبت على حال واحدة.

والصفوية : هى اللهجة المنسوبة إلى منطقة الصفا؛ فقد عثر على نقوشها فى حرة واقعة بين تلول الصفا، وجبل الدروز ويرجع تاريخها إلى القرون الأولى بعد الميلاد، والخط الذى كتبت به قريب من الخط الثمودى، ولا يبعد أن يكون مشتقًّا منه إلا أنه شديد التغير والاختلاف فلا يكاد يستقر على حال واحدة، فهو تارة يقرأ من الشمال إلى اليمين، وتارة أخرى يقرأ من اليمين إلى الشمال.

واللحيانية : هى اللهجة المنسوبة إلى قبائل لحيان التى يرجح أنها كانت تسكن شمالى الحجاز قبل الميلاد، وقد عثر على نقوش كثيرة تذكر أسماء ملوك لحيان، وأغلب الاحتمالات أن تاريخ هذه النقوش يعود إلى ما بين سنة ٤٠٠ ، وسنة ٢٠٠ قبل الميلاد، والخط الذى دونت به مشتق كذلك من المسند غير أنه ألطف وأثبت نظامًا، وأكثر رونقًا من الخطين الثمودى والصفوى، ويكتب مستعرضًا من اليمين إلى الشمال .

" ومع أن هذه المجموعة من اللهجات الثلاث: الثمودية، والصفوية، واللحيانية لم تصل إلينا إلا عن طريق نقوش قليلة الأهمية على كثرتها، ضحلة المادة على تنوعها، امتازت بأمرين، أحدهما: أنها أقرب لهجات العربية البائدة إلى الفصحى،

والآخر: أن الخط الذى دونت به ينبغى أن يعتبر المرحلة الأولى فى منظور الخط العربى وانتشاره "[١].

والقسم الثانى من العربية الشمالية الباقية، وهى التى تنصرف إليها كلمة العربية عند الإطلاق، وهى لا تزال تستخدم لغة أدب وكتابة وتأليف فى البلاد العربية، وقد نشأت هذه اللغة ببلاد نجد والحجاز ثم انتشرت فى كثير من المناطق التى كانت تشغلها من قبل أخواتها السامية والحامية، ثم تفرعت منها اللهجات التى يتكلم بها فى العصر الحاضر فى البلاد العربية وقد وصلتنا هذه اللغة عن طريق القرآن الكريم، والسنة النبوية، والأدب الجاهلى شعرًا ونثرًا.

٢ - **العربية الجنوبية** : ويطلق عليها العلماء اسم اليمنية القديمة، أو القحطانية، وأحيانًا يسمونها باسم بعض لهجاتها الشهيرة فيطلقون عليها اسم الحميرية أو السبئية، وقد وصلت إلينا هذه اللغة عن طريق نقوش كثيرة مدونة على الصخور، والأعمدة، والقبور، والتماثيل، والنقود، وجدران الهياكل، والمذابح، ومعظم هذه النقوش عثر عليه فى بلاد اليمن نفسها، وفى الواحات الواقعة شمالى بلاد الحجاز فى منطقة العلا، وبعضها عثر عليه فى المناطق الشمالية لبلاد كنعان، وفى صعيد مصر – مما تركه تجار اليمن – وفى الحبشة.

وهذه النقوش مكتوبة بخط المسند [٢]، وهو خط أبجدى يشتمل على تسعة وعشرين حرفًا صامتًا، والنقوش مدونة بالصوامت دون الحركات.

---

(1) دراسات فى فقه اللغة – د / صبحى الصالح ص ٥٦ .

(2) سمى بالمسند ؛ لأن أكثر حروفه تستند إلى ما يشبه الأعمدة ، وهو خط هندسى الشكل ، ويعرف بالخط اليمنى عند العرب .

وأهم اللهجات العربية الجنوبية خمس: المعينية، والسبئية، والحميرية القديمة، والقَتْبَانية، والحضرمية.

أ – اللهجة المعينية : وهى اللهجة المنسوبة إلى المعينيين، الذين أسسوا بجنوبى اليمن أقدم مملكة فى بلاد العرب (١٣٠٠–٦٣٠ ق . م) وكانت حاضرتها القرن، ويسميها اليونان (كارنا) أو (قارنا)، وأقامت هذه المملكة فى منطقة الجوف الجنوبى شرقى صنعاء.

" ولغة المعينيين كثيرة الشبه باللغة السبئية (لغة حمير) وحروفهما واحدة تقريبًا، لكنها تختلف عنها اختلافًا واضحًا فى ضمير المذكر الغائب؛ فإنه فى المعينية السين ، بدل الهاء فى السبئية وسائر اللغات السامية إلا البابلية والحبشية " [١].

وكانت لهم تجارة بين الهند وبلاد العرب، وقوافلهم التجارية تتجه من سواحل المحيط الهندى إلى فلسطين، وأقاموا لهم مستعمرات مهمة تسكنها جاليات منهم على طول الطريق الساحلى المحاذى للبحر الأحمر فى اتجاه فلسطين والبحر المتوسط، وقرب نهاية القرن الأول قبل الميلاد ذابت فى مملكة سبأ.

ب – اللهجة السبئية : هى اللهجة المنسوبة إلى السبئيين الذين أقاموا مملكتهم على أنقاض المملكة المعينية، واتخذوا من مدينة مأرب عاصمة لمملكتهم، وقد ظلت السبئية سائدة فى بلاد اليمن خلال المدة الطويلة التى قبض فيها السبئيون على زمام الحكم، بل بقيت سيادتها فى أثناء الحكم الحبشى الأول لهذه البلاد بين سنتى ٣٧٥–٤٠٠ بعد الميلاد.

---

(1) العرب قبل الإسلام لجرجى زيدان ص ١٣٢ .

ويذكر العلماء أن دولة سبأ استمرت حتى سنة ١١٥ ق . م حينما انهار سد مأرب بسيل العرم بعد أن كفروا بأنعم الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ ١٥- ١٧].

وبعد انهيار سد مأرب هاجرت قبائل منها إلى الشمال، ولم تكن القبائل المهاجرة فى وضع اقتصادى جيد، ولذا تعربت بعربية الشمال.

ج – اللهجة الحميرية القديمة[1] : وهى تنسب إلى جماعات حمير التى ظلت تنازع السبئيين السلطان مدة طويلة دون أن تقوى على انتزاعه من أيديهم، وقد اشتبكت لهجتهم فى صراع مع اللهجة السبئية، ولكنها لم تقو على التغلب عليها أو انتزاع شيء من مناطقها، وظل الحال كذلك حتى طرد الأحباش لأول مرة من بلاد اليمن سنة ٤٠٠م، وتولى الحكم فيها أسرة حميرية، ومن ذلك الوقت أخذ نجم اللغة الحميرية فى البزوغ؛ فاستأثرت بكثير من مظاهر السيادة والنفوذ الأدبى فى بلاد اليمن، وقد اتخذت من (ظَفار) عاصمة لها.

---

(1) وصفت بالقديمة تمييزًا لها عن لهجة حمير بعد أن تغلبت العربية على ألسنتهم ، وهذه الأخيرة هى التى يعنيها معظم مؤرخى العرب حين يتكلمون عن لهجة حمير ، ويستثنى من هؤلاء أبو عمرو بن العلاء الذى كان يعنى الحميرية القديمة بقوله : ما لسان حمير بلساننا ، ولا لغتهم بلغتنا .

انظر : فقه اللغة – د / على عبد الواحد وافى ص ٧٧ .

د – اللهجات القَتَبانية : وهى تنسب إلى قبائل قَتَبان التى أنشأت مملكة كبيرة فى المناطق المسماة بهذا الاسم، وهى المناطق الساحلية الواقعة شمالى عدن، وكانت عاصمتهم تِمْنَع، ويختلف المؤرخون فى تاريخ قيامها، ويذكر أنها وجدت سنة ١٠٠٠ ق.م وانتهت حياتها ما بين سنتى ٤٠٠ ق.م، و٥٠ ق.م، وأنها ذابت أيضًا فى مملكة سبأ نتيجة الحروب والمنازعات المستمرة [١].

هـ – اللهجة الحضرمية : وهى تنسب إلى قبائل حضرموت التى أنشأت حضارة زاهرة ومملكة قوية فى المنطقة الجنوبية المسماة بهذا الاسم وكانت حاضرتهم شَبْوَة وظلت مملكتهم هذه تنازع سبأ السلطان مدة غير قصيرة، ولكن كتب النصر فى النهاية لسبأ، فأزالت مملكة حضرموت من الوجود.

" وقد عمرت اللهجة الحضرمية أكثر من اللهجة القتبانية، فآخر النقوش القتبانية يرجع إلى القرن الأول الميلادى، بينما ظلت الحضرمية حتى القرن الثالث الميلادى على أقل تقدير، وكلتا اللهجتين تشبهان اللهجة المعينية من ناحية استخدام السين، ولكنهما تختلفان عنها من جوانب أخرى " [٢].

٣ - **الحبشية السامية**: خرجت موجة سامية من جنوبى الجزيرة العربية، فعبرت البحر الأحمر عن طريق باب المندب إلى ما أطلق عليه بعض الرحالة اليونان اسم (أثيوبيا). ويبدو أن الهجرة تمت حوالى القرن السابع قبل الميلاد، وقد عرف الباحثون أسماء بعض القبائل التى هاجرت، ونقلت لغتها السامية إلى هذه المنطقة

---

(1) انظر : الحضارات السامية القديمة لموسكاتى ص ١٩٢ ، وفقه اللغة – د / على عبد الواحد وافى ص ٧٧، والعربية خصائصها وسماتها – د / عبد الغفار حامد هلال ص ١٥٣ .

(2) علم اللغة العربية – د / محمود فهمى حجازى ص ١٨٦ .

من القارة الأفريقية، وأهم هذه القبائل قبيلة حبشت، وقبيلة الأجعازى، وقد سميت هذه المنطقة باسم (الحبشة) نسبة إلى القبيلة الأولى، بينما سميت اللغة باسم لغة (الجعز) نسبة إلى القبيلة الثانية؛ فأبناء هذه اللغة، وسكان الحبشة يسمون لغتهم القديمة باسم الجعز.

وهناك تسميتان أخريان أقل استخدامًا فى مجال العلم، وهما تسمية هذه اللغة باسم الحبشية، والأثيوبية، والتسمية الأولى شائعة فى الكتب العربية، أما الثانية فمأخوذة من كلمة أثيوبيا التى وصفت بها منطقة البحر الأحمر جنوبى مصر فى كتب الرحالة الأوربيين القدماء، وقد جاءت كلمة أثيوبيا فى الكتاب المقدس، فأحبها الأحباش مع تحولهم إلى المسيحية، فأطلقوها على دولتهم باعتبارها تسمية مقدسة[١].

أما بالنسبة للكتابات الحبشية فقد انقسمت على ثلاثة أقسام[٢] :

الأول : نقوش كشفت فى منطقة يها (jeha) تمثل أقدم نماذج الكتابات الحبشية، وقلمها السبئى القديم الذى كان فى عهد ملوك سبأ الذين عرفوا باسم مكرب.

الثانى : كتابات تتمثل فى نقشى أقسوم، وقلمها يشبه القلم السبئى المتأخر، وهى متأخرة عن الأولى بنحو ستة قرون أو أكثر.

---

(1) انظر : علم اللغة العربية ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(2) انظر : تاريخ اللغات السامية – د / إسرائيل ولفنسون ص ٢٥٦ .

الثالث : كتابات الطور الثالث، وهى كتابات جعزية بقلمها ولغتها، وتستعمل فى صلب الحروف شيئًا يشبه الحركات، وهى طريقة غير مألوفة فى اللغات السامية.

وكتابات الطورين الأول والثانى تكتب من اليمين إلى الشمال، كما هو شأن جميع الأقلام السامية، أما الخط الجعزى فإنه يكتب من الشمال إلى اليمين.

وقد كتبت لغة الجعز بخط مقطعى يتكون من ١٨٢ رمزًا مكونًا من الصوامت والصوائت؛ فكل صامت مع الحركة التالية له يكون رمزًا مستقلا، وفيه ستة وعشرون حرفًا من الصوامت يرتبط كل منها بإحدى حركات سبع (فتحة قصيرة- فتحة طويلة- فتحة ممالة قصيرة- فتحة ممالة طويلة- ضمة طويلة مثل صوت حرف (o) الأجنبى، وأخرى طويلة مثل صوت (u) الألمانية - كسرة طويلة)؛ أى إن الرمز الواحد يمثل فى الخط الحبشى أحد الصوامت الستة والعشرين مع إحدى الحركات السبع؛ لذا يعد هذا الخط من أكثر الخطوط السامية تعقيدًا [١].

الموطن الأصلى للساميين : اختلف العلماء حول الموطن الأصلى للغات السامية وذهبوا مذاهب شتى منها[٢] :

---

(1) انظر : فقه اللغة - د / على عبد الواحد وافى ص ٨٨ ، ٨٩ ، وعلم اللغة العربية ص ١٩٢ ، والعربية خصائصها وسماتها ص ١٤٨ .

(2) انظر : فقه اللغة - د / على عبد الواحد وافى ص ١٠ ، ١١ ، واللهجات العربية الحديثة فى اليمن ص ٥ ، ٦ ، وفصول فى فقه العربية ص ٣٨ - ٤٢ ، والعرب قل الإسلام لجرجى زيدان ص ٤١ ، ٤٢ .

١ - **المذهب الأفريقى** : ذهب بعض العلماء إلى أن الموطن الأصلى للساميين كان شمال أفريقيا ومنه نزحوا إلى آسيا عن طريق برزخ السويس، والذى دعاهم إلى هذا – التشابه بين الساميين والحاميين.

بيد أن هذا المذهب لم يسلم من النقد؛ إذ كيف اختفت جميع اللغات السامية من أفريقيا بحيث لم تظهر إلا فى المستعمرات الفينيقية على الساحل، وخاصة المستعمرة البونية فى قرطاجنة بتونس، ثم مع الفتح الإسلامى فى القرن السابع الميلادى.

٢ - **المذهب الأرمينى** : ذهب بعض العلماء إلى أن الموطن الأصلى للساميين كان بلاد أرمينية بالقرب من حدود كردستان، ويرى بعضهم أن هذا الموطن كان المهد الأول للشعبين السامى والآرى معاً.

وهذا الرأى مستمد من سفر التكوين (١٠/ ٢٢ – ٢٤ ، ١١ / ١٢) الذى يعزو كثيرًا من هذه الشعوب إلى أرفكشاد، وهى تقع على حدود أرمنيا وكردستان.

وأقوى ما يوجه إلى هذا الرأى من نقد هو أن مؤلف سفر التكوين لم يستند إلى أدلة علمية يقينية، بل كان يأخذ بقول الرواة القصاصين، الذين يرون أن سفينة نوح (عليه السلام) رست فى مكان قريب من أرفكشاد، وهو رأى خيالى تمامًا، كما أنه يتعارض مع رأى آخر فى سفر التكوين (١/١١) يرى أن كل الشعوب ومن بينها الساميون انحدروا أصلاً من بابل.

٣ - **المذهب البابلى** : ذهب إلى هذا الرأى الأستاذ جويدى (Guidi) ومن تابعه، حيث يرون أن المهد الأصلى للساميين يقع على المجرى الأوسط لنهر دجلة، ومنهم من حدد هذا الموطن بمنطقة جنوبى نهر الفرات، وكان اعتمادهم فى ذلك على أدلة جغرافية ونباتية وحيوانية، وكذلك على ورود ألفاظ مشتركة فى اللغات السامية لمسميات تنطبق على جغرافية وحيوان ونبات ما بين النهرين.

٤ - **المذهب الحبشى** : ذهب بعض العلماء إلى أن الموطن الأصلى للساميين بلاد الحبشة ومنها نزحوا إلى القسم الجنوبى ببلاد العرب عن طريق باب المندب، ومن هذا القسم انتشروا فى مختلف أنحاء الجزيرة العربية.

٥ - **المذهب الكنعانى** : ذهب بعض العلماء إلى أن الموطن الأصلى للساميين كان بلاد كنعان، ويستدل على ذلك بأن الساميين كانوا منتشرين فى البلاد السورية القديمة فى أزمنة سحيقة فى القدم، وأن مدنيتهم فى هذه البلاد لا تعرف نشأتها ولا تعرف قبلها مدنية أخرى.

٦ - **المذهب العربى** : يرى كثير من العلماء أن الموطن الأصلى للساميين كان القسم الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية، وقد مال إلى هذا الرأى كثير من المستشرقين مثل: رينان، وبروكلمان، وشبرنجر،

ودى غويه، وكايتانى، وموسكاتى، ويستدلون على ذلك بأدلة تكاد تكون قاطعة، من ذلك :

أ – الهجرة فى هذه البلاد كانت تتجه دائمًا فى عصور ما قبل التاريخ، والعصور التاريخية من القسم الجنوبى الغربى إلى الشمال والشرق (سوريا والعراق وما يليها).

فمن القسم الجنوبى الغربى نزح الساميون إلى الشمال فتكونت من سلالاتهم الشعوب الكنعانية، ونزحوا كذلك إلى جنوبى العراق وغزوا بلاد السومريين، وغلبوهم على أمرهم وأنشئوا دولة عظيمة هى دولة بابل .. إلخ من الهجرات التى خرجت شمالاً سواء إلى الشمال الشرقى أو الشمال الغربى أو وسط الجزيرة العربية.

ب – منذ فجر التاريخ كانت كل المواطن الأخرى المقترحة مسكونة بشعوب غير سامية ما عدا جزيرة العرب.

ج – جميع سكان بلاد العرب الذين لم يختلطوا بغيرهم من الأجناس البشرية، لهم مميزات الجنس السامى الخلقية والخلقية، ولغتهم على ما يرى المحققون من علماء الساميات أقرب اللغات إلى السامية الأم.

مما سبق رأينا أن العلماء اختلفوا فى الموطن الأصلى للساميين فى عصور ما قبل التاريخ، بيد أنهم يكادون يتفقون على أن الموطن الأصلى للساميين فى العصور التاريخية، هو شبه جزيرة العرب، ومنها انطلقوا إلى بلاد الرافدين وسوريا

وفلسطين، والحبشة وشمالى أفريقيا، ومصر وكونوا الدول والممالك التى عرفناهـــا قبل ذلك.